القصدية والمعنى والفهم في الفعل التواصلي

الباحث مصطفى الفارسي
باحث التواصل اللساني والفلسفة
عبد الملك السعدي
المغرب

مقدمة

يمثل مبحث التواصل، مجالا لتقاطع العديد من المباحث العلمية والفلسفية، مثل علم النفس وعلم الاجتماع، وفلسفة اللغة، واللسانيات، والفلسفة السياسية، والأنثروبولوجيا...الخ. والمتخصص في الخطاب، سيلمس الأهمية التي أصبح يحظى بها هذا المبحث في الدراسات اللسانية والفلسفية.

لقد أخذ مبحث التواصل اليوم زمام المبادرة الفلسفية. وبحكم التحول الذي طرأ على الخطاب الفلسفي المعاصر، أصبح مفهوم التواصل من المفاهيم المركزية المتداولة في الخطاب، إذ لم يعد الاهتمام بالتواصل منحصرا في المجال التداولي المرتبط بتبادل المعلومات وتقنيات تبادلها، بل أصبح يشكل نظرية علمية وفلسفية مستقلة بذاتها، فالواقع يقتضي إقرار ثقافة حوارية وعقلانية تواصلية وحجاجية[1].

إن ميلاد هذا المبحث ليس وليد الصدفة بل هو استجابة للتعقيدات التي يعرفها المجتمع المعاصر على مجموعة من المستويات[2]، مما يجعل من نظريات التواصل والتلقي في وقتنا الحالي، ميدانا للتلاقح بين مختلف الحقول المعرفية، لأن الفعل التواصلي يتجلى عبر مختلف مستويات الممارسة الاجتماعية: ثقافية كانت أو سياسية أو اقتصادية أو إيديولوجية[3]. ذلك أن التواصل وهو فعل قصدي، له معنى فلا معنى بغير قصد.

1- المعنى والفهم في الفعل التواصلي

إن مما يتميز به لفظ "المعنى"، أنه يقترن في النظرية اللغوية العربية، اقترانا بمدلول "الفهم"، إذ حد "المعنى" فيها ما فهم من اللفظ، أو لنقل هو "المفهوم" في مدلوله الواسع، لا في مدلوله الضيق الذي حمله على الممارسة العلمية والفلسفية، أي الفكرة المجردة الكلية العامة[4]، ذلك أن التواصل بين الناس ليس ممكنا، إلا إذا كان للكلمات معنى[5]، والمعنى ليس كلاما، بل هو روح الكلام ورهان فعاليته[6]. وبالمناسبة؛ فقواعد النحو لبناء الجملة ليست من أجل عرض شكل محدد للغة، وإنما لوضع معلم لتوجيه الفهم وطريقة في اشتراك التفسير والشرح[7]، كما أن حد الفهم في هذه النظرية هو إدراك المعنى من اللفظ، فهذا اللفظ ليست له محمولات ذاتية تخصه بغض النظر عن تعدد معانيه. بينما لا ينطبق هذا الحكم على الموضوع المتناسب مهما تعددت معاني هذا اللفظ لأنها تؤول في آخر المطاف إلى الجوهر، أي أنها مظاهر له و أوصاف خاصة به[8].

فالصيغة اللفظية للرسالة؛ التي يقع نظمها بتزامن مع تلقيها، تفرض تشكيلا ديناميا وآنيا تواكب فيه الملاءمة، ردود أفعال المتلقين، بخلاف الصيغة الخطية التي تفرض تشكيلا افتراضيا مفتوحا على احتمالات عدة، بسبب استمرارية التجاوب الناتجة عن اتساع قاعدة المتلقين وتمددها[9]. إن التلفظ ينشأ بين شخصين منتميين عضويا إلى المجتمع، وإذا لم يكن هناك محاور فعلي فسوف نفترض مقدما هذا المحاور في شخص، لنقل إنه ممثل طبيعي للفئة الاجتماعية التي ينتسب إليها المتكلم. إن الخطاب موجه للشخص المخاطب المعني موجه إلى ما يكونه ذلك الشخص[10]. لأن لكل كلمة معنى معجميا واحدا تحيل عليه السلسلة الصوتية، التي يتشكل منها اللفظ أو الكلمة. لكن ما أن يدخل هذا اللفظ المفرد في علاقة تركيبية مع ألفاظ أخرى حتى يتغير المعنى المعجمي للألفاظ المفردة ويتغير معه المرجع الذي يحيل عليه.

إن ما يميز بين المرجع الدلالي ومرجع المتكلم متعلق بالتمييز الذي أقامه التداوليون بين الكلام والتلفظ، فالرسالة غير المتلفظ بها تفتقر عند تلقيها إلى كثير من العناصر التي تقيد مقصود المتكلم وتجعل المعنى المبلغ دقيقا، كنبرة الصوت، وملامح الوجه، ونوع العلاقة التي تجمع المتخاطبين، وكل العناصر المحيطة بفضاء التخاطب[11].

فالتلفظ يكون بموجب الفعل الأول تصويتا، ولذا فهو محكوم بالتكوين الصوتي الخاص، بكل لغة من اللغات. ويصير بموجب الفعل الثاني إنتاجا للكلمات، ومن ثم فهو محكوم بالقواعد اللغوية المنظمة لتأليف الأصوات في الكلمات. ويصير بمقتضى الفعل الثالث إنتاجا للدلالة باعتبار الأخيرة عنده حصيلة اقتران المعنى بالمرجع، لأن هذا الفعل متوقف على مراعاة مقتضيات المرجع. وهذا يفيد أن للتلفظ مستويات ثلاثة؛ **مستوى الصوت، ومستوى اللغة، ومستوى الخطاب**. ونقل التلفظ من اللغة إلى الخطاب يتم بواسطة الفعل الإنجازي، فإذا كانت الصيغة عنصرا لغويا ووجه القصور فيه أنه يكون بلا معنى ودلالة، فإن القول المنجز عنصر خطابي ووجه القصور فيه أن يكون مبهما، وغامضا[12]. والتمييز بين اللغة والخطاب هو تمييز بين مستويين من التلفظ؛ تلفظ وصفي، وتلفظ إنشائي أو تنفيذي. حيث الصنف الثاني "لا يكتفي بقول شيء ما، بل يتجاوزه إلى إحداث أثر (أو شيء) ما[13]. لأنه يعتنى إلى حد أقصى بالقوة التكلمية للملفوظ[14]. بحيث يأخذ كل من "المعنى "و "الفهم" في حد الآخر؛ ومن أخص ما يتميز به الاقتران بينهما ما يأتي:

1–1 صلة الفهم بالمادة.

ذلك أن المتكلم يحتاج في تبليغ قصده إلى استعمال الوسيلة اللفظية، نطقا أو كتابة[15]، فمعنى النطق بمعنى المحتوى الخبري هو الجانب الموضوعي، من هذا المعنى[16]، كما أن المستمع يحتاج في تحصيل هذا القصد إلى استعمال آلاته السمعية، ومتى خلا هذا القصد من هذا السند المادي، لا يصح أن يكون موضع فهم وقد وقع التفريق بين "الفهم" و "العلم" على أساس هذه الواسطة المادية، فإن وجدته في الكلام فهو كلام يفهم، وإن انتفت هذه الصفة فذاك كلام يعلم ولا يفهم[17].

1–2 صلة الفهم بالانفهام.

لقد كانت الغاية من إيراد عنصر "الفهم" في تعريف "المعنى"، هو بيان صلة المخاطب بالمعنى، بحيث تضاهي هذه الصلة فيه صلة المتكلم به، حتى إن ورود الصلة الأولى في هذا التعريف، أظهر من ورود الصلة الثانية فيه، إذ أنها ذكرت فيه صراحة بذكر لفظ "الفهم"، علما بأن الفهم باتفاق ينسب إلى المخاطب، بينما اكتفي بالثانية، بالإشارة إلى المتكلم؛ بواسطة بعيدة متنازع فيها، وهي أن ما يفهمه المستمع هو قصد، مع العلم بأن القصد باتفاق ينسب إلى المتكلم. ولم تكتفي النظرية اللغوية العربية بأخذ "الفهم" في حد "المعنى" عن طريق صيغة المطاوع الذي هو الفعل اللازم المتفرع عن الفعل المتعدي: "فهم" فقالت "انفهام المعنى من اللفظ"، كما قالت: "المعنى هو ما انفهم من اللفظ"، حرصا منها على جعل جهة المخاطب أحد المقومات الذاتية للمعنى[18].

1–3 صلة الفهم بالسياق.

معلوم أن الملفوظ يجوز أن يتضمن معاني كثيرة، قد لا يقصد منها المتكلم في مقامه إلا واحدا؛ فإذا علم المخاطب بهذه الوجوه المتعددة كما في الاصطلاح، أو الاستعمال، ولكنه لم يعلم على التعيين المقصود منها للمتكلم، أو لم يعلم على التفصيل، إن كان المتكلم يريد واحدا منها أو أكثر، فإنه لا يقال في حقه أنه فاهم، أو أنه حصل الفهم أو بأنه أعطي الفهم[19]. فلا فهم إلا لمن أدرك المراد الذي يقتضيه سياق الكلام، فكل فهم هو متعلق بالسياق[20]. وكما هو معلوم؛ أن السياق، يعنى بالبواعث الاجتماعية الفاعلة في الخطاب الحواري، ويعطي الأهمية للعناصر المؤثرة في المعتقدات والسلوكات معا، لخلق الاختلاف، أو تخلق الإجماع[21].

1–4 صلة الفهم بالتجريد.

إذا كان الحديث عن "الفهم"، قد يجر صاحبه إلى الحديث عن العقل، فإن طه عبد الرحمن يقر أن العرب أقاموا "العقل" مقام "الفهم" في تعريف المعنى، فلم يظفر عندهم بأقوال تجمع بين العقل والمعنى، شبيهة بالأقوال التي تجمع بين الفهم والمعنى. ذلك أن مدلول الفهم ظل مقترنا بإدراك المقصودات العملية.

1–4 صلة الفهم للتوحد.

إذا كان مفهوم المتكلم يرد في حد المعنى على جهة التلميح، لا على جهة التصريح، فإنه لا يشار إليه فيه بما يختص به المتكلم من فعل يقابل فعل الفهم؛ الذي يختص به المخاطب، ألا وهو الإنشاء. فطه عبد الرحمن يقدم عدة أمثلة، لنفي الطرح الذي يدعي أن المعنى هو ما أنشئ من اللفظ، أو ما نشأ من اللفظ. وإن قيل المعنى ما قصد باللفظ، غير أن القصد لا يقابل الفهم، ومرد ذلك إلى أن مفهوم

الإنشاء؛ غلبت عليه إفادة معنى الكلام الذي يقوم به الفرد، منفصلا عن غيره، أطلق طه عبد الرحمن "الكلام المتوحد" مثل التأليف، بينما المطلوب في وضع حد المعنى، هو بيان الاشتراك بين المتكلم والمخاطب، لذلك تم اختيار لفظ الفهم، حتى يدل على مدلول إنشاء المتكلم[22].

2- القصدية خاصية أساسية في التواصل.

تعتبر القصدية سمة عقلية توجه الأفراد قصد التوافق والتفاهم، هي ظاهرة بيولوجية مشتركة بين الإنسان وبعض الحيوانات، "القصدية هي تلك السمة العقلية التي يتوجه بها العقل إلى موضوعات وظروف العالم، هي قبل كل شيء ظاهرة فطرية مشتركة بين البشر، وبعض الحيوانات الأخرى. وأبسط أشكال القصدية هي الأشكال البدائية بيولوجيا مثل الإدراك الواعي والأفعال المتعمدة والجوع والعطش، والمشاعر مثل الغضب والشهوة والخوف. أما الأشكال الثانوية فهي أشياء مثل الإيمان والرغبة والأمل "[23]. كلها مظاهر تتشارك فيها الكائنات العاقلة.

فالقصدية هي سمة العقل التي توجه بها الحالات العقلية أو تتعلق بها حالات عقلية أو تشير إليها وتهدف إليها، ومما يميز هذه السمة أن الشيء لا يحتاج أن يوجد فعليا لكي تمثله حالتنا الشعورية، وليست جميع الحالات القصدية شعورية، كما أن الحالات الشعورية ليست قصدية جميعا[24]. كما توحي الكلمة، أن القصدية، بمعنى التوجه يجب دائما أن تكون مرتبطة بالنية والقصد عندما أقول مثلا إنني أقصد أو أنوي الذهاب إلى السينما الليلة[25] فهنا يتم الجمع بين النية والقصد.

والظاهر أنه رغم تنصيص سورل على كون القصدية ذات طابع بيولوجي ومشترك بين الإنسان والحيوان، فإن تمييزه بين الأشكال البدائية أو الأولية؛ والأشكال الثانوية، يفيد أن القصدية في مستوياتها المركبة والمتقدمة لا يمكن أن تكون إلا سمة تخص الكائن البشري، فإذا كان الإنسان يتقاسم مع الحيوانات بعض المظاهر التي تلازم القصدية، فإن المظاهر التي تتكشف من خلالها في أرقى صورها، مثل الإيمان والأمل التي ينفرد بها الإنسان دون غيره من أنواع الحيوانات[26].

وفي معرض وسم الفعل الإنساني بالقصدية، ورد مفهوم القصد، مقترنا بالوعي، ذلك أن إنجاز الفعل، يتوقف على الوعي به، فما يجعل الأفعال عموما، والأفعال التواصلية تحديدا منجزة هو كونها مقصودة. فليست في نظره "حركة الجسم وحدها سببا كافيا في أن تسمى فعلا إنجازيا. إذ يجب أن أكون متيقظا وواعيا، ومتشوقا لما أنا فاعله وعلى هذا، فالأفعال الإنجازية تقتضي بعض العناصر الذهنية وتستلزم شروطا وأحوالا ذهنية سابقة (...) فأحوال حصول الأفعال المنجزة عن قصد، هي ما يمكن أن توصف بكونها أفعالا إنجازية"[27].

3- الفعل التواصلي والفعل القصدي.

طه عبد الرحمن يعتبر أن القصد؛ توجه[28] وهو فعالية موجهة، أي أنها تتحدد بوجهة مخصوصة[29]، وقد اصطلح على تسمية هذه الوجهة الضابطة باسم القصد، فلا عمل بغير قصد، وإلا كان مجرد فعل قد يقع من الجماد فضلا عن الحيوان[30]، ذلك أن كل فعل قصدي يطلب إيقاع أمر أو عدم إيقاعه من غير أن يلزم وقوع هذا المطلوب[31]. ذلك أن القصدية مختلفة في مراتبها ومقيدة بسياقاتها[32]، حتى إن القصد أنزل من العمل منزلة الروح من الجسد، فقيل: "القصد هو روح العمل"[33]. فالقصدية هي المصطلح العام لجميع الأشكال المختلفة التي يمكن أن يتوجه بها العقل، أو يتعلق نحو الأشياء أو الحالات الفعلية في العالم[34].

مهما اختلف الدارسون في مفهوم القصد وحدود إسهامه في بناء التواصل، فإنهم مجمعون على اقتران القصد بالتواصل ضرورة. ومما فسروا به ذلك ما ذكره صاحبا كتاب "نظرية الصلة" حيث يقولان:

"أغلب التواصل البشري يكون قصديا وهو قصدي لسببين قويين. السبب الأول، هو الذي اقترحه (غرايس)، أي: إن الشخص بإصداره دليلا مباشرا على قصده الإخباري؛ يستطيع أن يوصل سلسلة من المعلومات أطول بكثير مما يمكن توصيله؛ بواسطة إصدار دليل مباشر على المعلومات الأساسية نفسها. والسبب الثاني، الذي يدعو البشر إلى التواصل هو لكي يعدلوا أو يوسعوا البيئة الإدراكية التي يشارك أحدهم الآخر فيها"[35]. ومعلوم (لإدموند هوسرل) تناول مفهوم القصدية، والتي تخضع لشروط محددة ومخصص له مباحث هامة.

ورغم أن القصد حالة ذهنية سابقة، فإنه يرافق بناء الفعل التعبيري حتى يأخذ صورته الدالة، فدوره في البناء المقامي للتخاطب لا يقل عن دور المكونات الخارجية أو الظروف المحيطة بالمتخاطبين، بل هو في مقدمة مقتضيات المقام وشروطه، لأنه يضفي على الحدث التواصلي صفة التعقيل التي لا يكون تفاعل المتلقي مع الكلام المتلقى جادا ومثمرا، إلا بتوافرها[36]. فأرسطو خص العاقل دون غيره بالقصد، بينما

جون سورل يرى أن القصدية هي كل ما يوجه الإنسان نحو موضوعات العالم ووقائعه. يقول "لقد استخدمت بالفعل لفظة "قصدي" بمعناها التقني. فالقصدية هي تلك السمة العقلية الموجهة؛ إلى؛ أو، حول؛ أو عن الموضوعات والظروف في العالم. إن الجوع، والعطش والمعتقدات والتجارب الإدراكية والنوايا والرغبات، والآمال، والمخاوف كلها قصدية؛ لأنها تتعلق بشيء ما. أما حالات القلق أو العصبية غير الموجهة فليست قصدية"[37].

3-1 اختلاف الأعمال باختلاف القصد.

تختلف الأعمال باختلاف القصود بل إن العمل الواحد قد يكون له أكثر من قصد واحد، فيختلف باختلاف قصوده وفي المقابل قد تختلف الأعمال وتتفق القصود بل إن اتفاق القصد؛ قد يجعل من الأعمال المختلفة عملا واحدا؛ وليس كل عمل قصدي يأتيه الإنسان، يوصله إلى الدلالة على الخالق، بل لا بد أن يرتقي القصد من أن يكون مجرد انبعاث إلى الشيء المقصود إلى إرادة الدلالة على هذا المقصود؛ ومرد ذلك إلى أن القصد، لئن كان عنصرا من بنية العمل، فهو نفسه عمل قائم بذاته، إلا أنه عمل داخلي لا يحرك جارحة خارجية، لأنه واحد من أعمال القلب؛ وقد وضع لهذا القصد الذي هو انبعاث من أجل إرادة الدلالة على المقصود مصطلح "النية"[38].

ومعلوم أن النية الخالصة فعل وجداني ينزل منزلة الأصل الذي تتفرع عنه كل الأفعال قلبية كانت أو حسية، منزلة المعيار الذي يحدد القيمة الأخلاقية لهذه الأفعال، فيحكم عليها بالصلاح أو بالفساد حيث إنه إن حسنت النية، صح الفعل المتفرع عليها أو عذر صاحبه وإن ساءت، بطل الفعل، ولو جاء على تمام ضوابطه الأخرى[39]. فالنية إنما هي القصد الذي يجعل القاصد، باختياره، علامة على المقصود؛ فالناوي هو كل من يدل بقصده، على مقصوده مختارا.

وإن حصّل عامل النية فإن ذلك لا يجعل من عمله عملا ثقيلا، فقد يريد أن يدل قصده عليه هو بعينه أو يدل على غيره من الخلق[40]. كل هذه العناصر تعتبر من ركائز التواصل الفعال؛ والذي لا يمكن أن يتواجد إذا غاب أحد شروط هذه الركائز، وهي حاضرة في كل كلام قصده؛ التواصل الناجح وأصله الإفهام والتبليغ... فكل تواصل أصله كلام وكل كلام غرضه التواصل وإلا أضحى ضربا من العبث.

3-2 دور المكون القصدي في تشكيل التواصل.

المتكلم يحتاج إلى أن يقدم من القصود ما يكفي لتبليغ مراده للمستمع، فهو يستعمل القول ليجعل له قصدا مخصوصا، ثم يطلب أن يفهم المستمع هذا القصد المخصوص، ثم القصد الثاني، وقد يمضي إلى قصد فوقه وإلى ما فوقه، وهكذا حتى حصول اليقين عنده بنهوض المستمع بالفهم المطلوب، فيكون معنى القول ثمرة لقصود لغوية متداعية يدعو كل واحد منها إلى مثله، حتى تصل نفس المتكلم بلوغ المراد، وهذا التداعي لا يزيد في عدد القصود فقط، بل يرفع بعضها بعضا، إذ يكون القصد الأعلى أدل على الصبغة القصدية للمعنى من القصد الذي تحته، وإذا ثبت أن تحصيل القول للمعنى يوجب تحصيله لجملة من القصود المتفاوتة بينها، بطل التصور اللغوي السائد الذي يقول بوجود ضربين من المعنى: أحدهما قصدي زائل يتعلق بغير اللفظ، والآخر وضعي راسخ يتعلق بالملفوظ، فقد تقدم أن ما يسمى بالوضع ليس على الحقيقة إلا اجتماع قصدين: أحدهما لغوي، والآخر "ما بعد لغوي"[41].

والبيان بهذا إفهام المتلقي المقصود من التعبير؛ بوسيلة يدركها وتكشف المستور المختلج في ذهن المتكلم. وإخراج المستور إلى المعلوم، هو بمعنى الإفصاح، وبه تحيى المعاني وتتطور خاصة وأن الاستعمال يقرب المعاني من الفهم، ويوضعها للعقل، ويجعل "الخفي ظاهرا والغائب شاهدا والبعيد قريبا". وهذه المزايا تستدعي جملة من الشروط؛ أبرزها وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل. وكل هذا في نطاق موافقة المعبر به عن المعبر عنه، الذي هو المعنى على نحو يفهم منه المتلقي الحمولة المعنوية للوسيلة التعبيرية[42].

واستنادا إلى دور القصد في تشكيل مقام التواصل؛ والسياق، ذهب أحد الباحثين إلى أن السياق صنفين، السياق الذهني؛ والسياق خارج الذهني، فإذا كان السياق الذهني، يتكون من ذلك الجزء من السياقات، الكامنة في عقول المنتجين والمؤولين للخطاب أو مقطعا منه. فإن السياق خارج الذهني يتكون عن طريق العالم الخارجي[43]. فتوافر العوامل المقامية الخارجية غير كاف لإنشاء التخاطب إنتاجا وفهما بل لابد من اشتغال المكون القصدي أثناء العملية التخاطبية ذلك أن هذه العوامل الخارجية تمر عبر السياق الذهني لتكتسب تصورا فرديا خاصا، أو وجهة نظر شخصية، لأن العامل السياقي في الحدث التواصلي المعين لا يكون مؤثرا؛ إلا إذا كان له تصور خاص، لدى الأفراد

المتخاطبين والذي تنتج عنه معرفة مشتركة[44]. فالطاقة التي يولدها المتكلم، تصل إلى السامع بدرجات مختلفة. لذا يختلف الصوت؛ الذي يتولد في السمع، إثر نطق المتكلم بحرف يكرره. تختلف صفات الصوت المسموع مرة تلو أخرى من حيث الرقة والخشونة والعلو والهدوء، والبطء والسرعة (المدة)... وتختلف من حيث التهزيز أيضا. وهذه الصفات نتعرف عليها في السمع على أنها أصوات مختلفة[45].

لذا اعتبر طه عبد الرحمن، أن الفعل القصدي فعل نافع والمقصود: أن المجلى الأول للفاعلية القصدية هو طلب المنفعة، إذ العقل ينبني على المنطق القصدي الذي يؤدي الفهم النافع للتواصل، وواجب العقل أن تكون له مقاصد وأن تكون هذه المقاصد ترى مصالحها. فطه عبد الرحمن يفصل هذا الأمر، باعتماده على مجموعة من الأمثلة، يبين من خلالها المنفعة التي ينطوي عليه الفعل القصدي:

فإذا قيل "إن العاقل قد يقصد المنافع التي تفيده دون غيره، كما أنه قد يقصد المفاسد التي تضره؛ كما تضر غيره"، فإننا نقول: إن المقصد العقلي ينبغي أن يكون منفعة متعدية لا قاصرة؛ ولما كانت المنفعة القاصرة هي التي يقف نفعها عند قاصدها، وكانت المنفعة المتعدية بخلافها، هي التي يمتد نفعها إلى غير قاصدها. فإن العاقل هو من يقصد في انتفاعه التكثر بغيره لا التوحد بنفسه؛ ثم إنه لما كان الفعل القصدي لا يكمل حتى ينعكس أي يصير تفاعلا، وكان هذا التفاعل يصل به إلى منتهى التعدية، فإن العاقل هو من يقصد بانتفاعه أن يكثر به غيره، كما يكثر به هو، فينفعه كما نفعه[46]. وهو قول يقوم على قواعد منطقية أخلاقية تسعى الى المنفعة والصلاح.

يخالف سورل هذا الراي ويرى أن المشكلة تكمن في أننا لا نستطيع أن نفسر قصدية العقل بالاحتكام إلى قصدية اللغة، لأن قصدية اللغة تعتمد أصلا على قصدية العقل[47]. وبالمقابل يعتبر طه عبد الرحمن، أن الفعل العقلي فعل قلبي بل هو المميز للقلب؛ ومعلوم أن القلب هو معين القيم الخلقية والمعاني الروحية في الإنسان، إذا صح هذا صح أيضا أن الفعل العقلي، لا يكون مجرد فعل خلقي وإنما يشكل المثال النموذجي لغيره من الأفعال، لأنه أكثر تغلغلا منها في الخلقية التي تنبعث أصلا من القلب فلو لم نعتبر من المعاني القلبية إلا القصد أو النية لكان ذلك كافيا في إثبات خلقية الفعل العقلي، إذ لا فعل عقلي بدون قصد أو نية[48].

خاتمة

إن الفعل التواصلي هو التحقيق الفعلي لما كان من اللغة في حيز الإمكان أي اللسان، بشرط أن يكون هذا التحقيق مقصودا ومبنيا على التفاعل، لأجل غايات مقصودة. ومن المعلوم أن المراد بالتحقيق الفعلي للسان يتمثل في الكلام، والكلام لا يكون كلاما حقا، إلا إذا أقيم على التفاعل مع قصد التوجه إلى الآخر؛ وقصد الإفادة؛ وقصد التأثير وأن تكون لهذا القصد أهداف وقواعد محددة. فالفعل التواصلي يعتبر مبحثا جديدا من مباحث الفلسفة، ذلك أن تأسيسه أضحى مهمة مستعجلة لأجل التموقع الصحيح داخل حوار عالمي إنساني، لا مجال فيه للتعصب وللعنف وإنما للحوار والحجة والبرهان. وللتواصل الإبداعي والحضاري، وبالتالي التفكير في إنشاء نظرية في الفعل التواصلي لها مرتكزاتها الثقافية والحضارية واللغوية والعقلية والسياسية والاقتصادية والرمزية.

الهوامش:

[1]: الخطابي عز الدين: في الحاجة إلى حوار فلسفي أو من أجل عقلانية تواصلية حجاجية: الحجاج والاستدلال الحجاجي: دراسات في البلاغة الجديدة: إشراف: حافظ إسماعيلي علوي: ص:65.

[2]: الأشهب محمد عبد السلام: أخلاقيات المناقشة في فلسفة التواصل لهابرماس: دار داوود الأردنية للنشر والتوزيع: الطبعة الأولى: ص: 12.

[3]: الخطابي عز الدين: الفلسفة السياسية بين التنظير والممارسة: في الأخلاق، السلطة، الحوار، الترجمة والتربية: أفريقيا الشرق2016: 125.

[4] – طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة، –1–الفلسفة والترجمة: الطبعة الرابعة، 2012م، المركز الثقافي العربي، المغرب، ص:162.

[5] – Ricoeur: «De L'interpretaion essai sur Freud»: Seuil: paris: 1965: P 32-33.

[6] – المقدسي أنطون: العقل وغير العقل في الوجود العربي بدايات: العقلانية العربية والمشروع الحضاري: منشورات المجلس القومي للثقافة العربية: سلسلة ندوات: العدد6: الطبعة الأولى 1992: ص: 13.

[7] – بول ريكور: "نظرية التاويل: الخطاب وفائض المعنى" ترجمة: سعيد الغانمي: الطبعة الأولى 2003م: المركز الثقافي العربي: ص: 38.

[8] – مزوز محمد: مشكلة الوجود بين ابن رشد وأرسطو: الطبعة الأولى: جامعة محمد الخامس: أكدال: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط: سلسلة بحوث ودراسات: رقم 71: ص: 121.

[9]– عبد الله الكدالي: المقام والتواصل، دراسة لمستويات تشكيل المقام ومبادئه في الدراسات الغربية: الطبعة الأولى 2019م: المركز الثقافي للكتاب: الدار البيضاء: مرجع سابق، ص: 339-340.

[10] – تزفيتان تودوروف: ميخائيل باختين: المبدأ الحواري: ص:92

[11] – عبد الله الكدالي: المقام والتواصل، دراسة لمستويات تشكيل المقام ومبادئه في الدراسات الغربية، مرجع سابق، ص:37.

[12] – John Langshaw Austin. « quand dire c ést faire » édition du seuil. 1970. p.112.

[13] – المرجع نفسه: ص: 139.

[14] – المرجع نفسه: ص: 148-149.

[15] – طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة: –1– الفلسفة والترجمة: مرجع سابق: ص:162.

[16] – بول ريكور: "نظرية التاويل: الخطاب وفائض المعنى": ترجمة: سعيد الغانمي: الطبعة الأولى 2003م: المركز الثقافي العربي ص: 38.

[17] – طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة: –1– الفلسفة والترجمة: مرجع سابق، ص:162.

[18] – التهانوي: كشاف اصلاحات الفنون: الجزء الثاني: ص: 288: عادل فاخوري: علم الدلالة عند العرب: ص: 11.

[19] – ابن عربي: الفتوحات المكية: المجلد الرابع: دار صادر: ص: 25.

[20] – طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة: –1– الفلسفة والترجمة: مرجع سابق، ص:163.

[21] – نظيف محمد: الحوار وخصائص التفاعل التواصلي: دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية: افريقيا الشرق 2010م. ص: 62.

[22] – طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة: –1– الفلسفة والترجمة: مرجع سابق، ص: 164.

[23] – جون سورل: رؤية الأشياء كما هي: نظرية الإدراك: ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي: مجلة عالم المعرفة: المجلس الوطني للثقافة: الكويت: عدد: 456: يناير: 2018م: ص:43.

[24] – جون سورل: العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي: ترجمة: سعيد الغانمي: الطبعة الأولى 2006م: الدار العربية للعلوم: منشورات الاختلاف: المركز الثقافي العربي: ص:102.

[25] – المرجع نفسه: ص: 129.

[26] – عبد الله الكدالي: المقام والتواصل: دراسة لمستويات تشكيل المقام ومبادئه في الدراسات الغربية، مرجع سابق، ص: 49.

[27] – فان ديك: "النص والسياق": ترجمة عبد القادر قنيني: الطبعة 2000م: إفريقيا الشرق: ص: 235.

[28] – عبد طه الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: الطبعة الثالثة 2012م: المركز الثقافي العربي: المغرب ص:22.

[29] – طه عبد الرحمن: سؤال العمل: بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم: الطبعة الثانية 2012م: المركز الثقافي العربي: المغرب: ص: 17.

[30] – المرجع نفسه: ص:18.

[31] – طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث: الطبعة الرابعة 2012م: المركز الثقافي العربي: المغرب: ص:100.

[32] – طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة: –1– الفلسفة والترجمة: مرجع سابق، ص:165.

[33] – طه عبد الرحمن: سؤال العمل: بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم، مرجع سابق، ص: 18.

[34] – جون سورل: العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، مرجع سابق، ص:128.

[35] – دان سبيربر وديردير ويلسون"نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك": ترجمة هشام إبراهيم عبد الله الخليفة: دار الكتاب الجديد المتحدة: الطبعة الأولى: 2016م: ص: 121.

[36] – عبد الله الكدالي: المقام والتواصل، دراسة لمستويات تشكيل المقام ومبادئه في الدراسات الغربية، مرجع سابق، ص: 47،48.

[37] – جون سورل: رؤية الأشياء كما هي: نظرية الإدراك، مرجع سابق، ص: 22.

[38] – طه عبد الرحمن: سؤال العمل: بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم: مرجع سابق، ص: 18.

[39] – طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، مرجع سابق، ص: 101.

[40] – طه عبد الرحمن: سؤال العمل: بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم، مرجع سابق، ص:18.

[41] – طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة: -1-الفلسفة والترجمة، مرجع سابق، ص: 161.

[42] – أحمد قادم: بلاغة الحجاج بين التخييل والتدليل: الطبعة الأولى 2019م: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع: إربد: الأردن: ص: 105.

[43] – جون كونولي: "السياق في نحو الخطاب الوظيفي": ترجمة عبد الرحمن رحموني وعزيز العماري: مجلة "اللسانيات وتحليل الخطاب": العدد:3: مارس: 2017م: بني ملال: المغرب: ص: 39.

[44] – عبد الله الكدالي: المقام والتواصل: دراسة لمستويات تشكيل المقام ومبادئه في الدراسات الغربية، مرجع سابق، ص:51.

[45] – علوية نعيم: الاختلاج اللساني: سيمياء التخطيط النفسي: الطبعة الأولى 1992م: المركز الثقافي العربي: ص: 136.

[46] – طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص:22-23.

[47] – جون سورل: العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، مرجع سابق، ص:136.

[48] – طه عبد الرحمن: سؤال العمل: بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم، مرجع سابق، ص: 83-84.